لو لم نلتقي

وفاء بوبغي

2023

إهداء

الإنسان لا يتطور بالراحة ، التجربة والمعاناة والمحاولة هي التي تطور روحه

أيمانويل كانت

إلى كل من آمن

بحروفي

وشجعني على المضي قدما

أهدي هذه المحاولة الأدبية

(01)

الحياة جميلة أيها الشركاء الرائعون.....فقط افتحوا أعينكم وتاملوا.....جمال أشعة الشمس الفاتن....وسحر زرقة البحر.....وروعة الإختلاف في كل مكان ...اختلاف الألوان والأشكال والبسمات والأصوات و العيون...فقط اطردوا تلك الطاقة السلبية من داخلكم... وانطلقوا، فهيا لنبدع معا ونصبح رقم واحد في الوطن والعالم، أثق بقدراتكم ، وكيفما كانت مشاكلكم و تحديات الحياة الصعبة.... فابتسموا..فأنتم أقوياء و مبدعون وخارقون وفريدون جدا وتستطيعون التغيير.....أنا أثق بكم... وردة حب لكم...صباح جميل لكم...

كان هذا هو الإعلان الصباحي التحفيزي الذي يتم تداوله بشكل يومي داخل شركة *كاميليا ديزاين*، بناية متوسطة المساحة على شكل هرمي بموقع مهم بجانب أهم الشركات العالمية بمدينة الدار البيضاء، من أربع طوابق، خصص فيها الطابق الأول للإستقبال و قاعتين للإجتماعات، أما الطابق الثاني فيعمل فيه عشرة من الشباب المبدعون في التصميم الجرافيكي والرسوم المتحدركة، وفرت لهم جميع ظروف العمل المريحة من حواسيب و طابعات وكاميرات متطورة وغيرها، وضم الطابق الثالث ثلاثة مكاتب، خصص الأول للمسؤول المالي والثاني لموظفي التسويق، والثالث لنائبة الرئيسة، أما الطابق الثالث فكان مخصصا لصاحبة الشركة ومساعدتها الخاصة .

وبداخل مكتب فخم مزود بأحدث الوسائل المريحة و الأجهزة المتطورة، كانت كاميليا منشغلة بتصفح الملفات المتراكمة عليها مند عدة أشهر، نظرا لانشغالها بأعمال أخرى خارج أرض الوطن، كانت من النوع المحب للبقاء خلف الكواليس، فظلت مند تأسيسها لشركتها أن تبقى بعيدة عن وسائل الإعلام، وشكلت حياتها علامة استفهام لموظفيها ، خاصة للفضوليين منهم، كانت إنسانة طموحة عاشقة للهدوء، وبعد أن بلغ التعب منها أشدها ، نهضت من كرسيها تتأمل من وراء نافدتها في البنايات الضخمة المحيطة بها، فانعكست لها صورتها ، لتظهر أمامها شابة جميلة في بدايات الثلاثينات، طويلة القامة، منحوتة الجسد، بيضاء البشرة، دائرية وجه تتوسطه عينين واسعتين عسلتين ساحرتين، تغطي شعرها العسلي بحجاب رمادي اللون ذو خامة رفيعة الجودة ، أضفى على و جهها نورا ربانيا، وفي تلك اللحظات التأملية بذاتها، رن هاتفها الذكي مقاطعا، لتظهر على شاشته صورة عجوز محجبة في بداية السبعينيات و دون تردد، ضغطت على زر الإجابة، وقبل أن تنطق كلمة واحدة ،أردفت المتصلة قائلة بنبرة ناعمة :

- **أستتأخرين كثيرا في العمل يا طفلتي ؟**
- **سأسوي بعض الأمور.. ثم سألتحق بالمنزل.. وعندي لك مفاجأة ستعجبك.**

- مفاجأة ! إذن، و أخيرا ستعودين بشكل نهائي و تستقرين بيننا.
- للآسف لا، مازال الوقت مبكرا على هذا القرار ...

ومن دون استئذان ،فتح باب مكتبها، لتدخل منه سيدة حسناء، أنيقة بفستانها الزهري، تكاد تقاربها عمرا، متوسطة القامة، ذات شعر كستنائي اللون.ومسترسل على شكل تموجات يغطي معظم ظهرها، خمرية البشرة، وعيون واسعة سوداء اللون، لافتة بمكياجها الغالي الثمن، ما أن رأتها كاميليا حتى أنهت المكالمة الهاتفية، وبجرأة جلست زائرتها بالكرسي المقابل لها، ثم أردفت قائلة (تزيل لغة الرسمية بينهما):

- لقد أخبرتني مساعدتك أنك عدت وتريدين رؤيتي يا كاميليا،
- نعم، أريدك....لكن دخولك المفاجئ هذا.....
- أعتذر.
- لاباس ، كيف هي أحوال الأعمال؟.
- جيدة ، كما لو أنك بيننا.

وبنبرة صارمة خاطبتها مجيبة (و هي تتصفح بناظريها الملفات المتراكمة أمامها) :

- صحيح، لكن ما يوجد أمامي لا يبشر بخير يا سيدة رشيدة، نحن جد متأخرين، مرت ثلاثة سنوات من العمل، لم نتمكن من الحصول سوى على بعض المشاريع الصغرى مع بعض الشركات الخواص الصغيرة، لا أصدق، ألم ينجح مبدعونا بإقناع الزبناء بجودة خدماتنا!؟

تدخلت رشيدة مقاطعة حديثها بنبرة أكثر رسمية:

- أرجوك، لا تغضبي يا سيدتي، نحن مازلنا في طور النمو... والمنافسة شديدة في السوق
- ولماذا لم نتمكن خلال السنتين الثانية والثالثة، من التعاقد ولو على مشروع واحد مع الشركات الكبرى؟ لولا المشاريع التي كنت أرسلها لكم.. لأفلست الشركة مند زمن.
- نحن نحتاج لمزيد من الوقت.. يا كاميليا.

- أرجوك، كفى، هذا ليس مبررا ....(نهضت من كرسيها ثم أشاحت ببصرها إلى ما وراء النافذة وأكملت قائلة)..غدا سوف سيعقد اجتماع مع كل المدراء في التاسعة صباحا..أرجو أن تكون حاضرة معنا.

فهمت رشيدة الرسالة، فانسحبت في الحال مغلقة الباب خلفها، ثم عادت كاميليا من جديد لكرسيها ، ثم رفعت الهاتف واتصلت بمساعدتها الخاصة مطالبتها إياها بالقدوم وإحضار باقي الوثائق غير الموقعة، ومن دون تأخير، دخلت فتاة قمحية البشرة، بمكياج عملي، يضفي على وجهها الصرامة والجدية، نحيفة الجسم ،

طويلة القامة، قصيرة الشعر ،تضع نظارة طبية، وبرسمية حيتها، فردت عليها كاميليا التحية، ثم وضعت أمامها كل الوثائق المطلوبة ، وقبل ان تنصرف، أوقفتها كاميليا قائلة (من دون أن تنظر إليها)

- هذا الإقتحام المفاجئ الذي حصل للتو لمكتبي من طرف السيدة رشيدة، لا أريده أن يتكرر.

أحست السكرتيرة بالإحراج، فاحمرت وجنتاها، ثم أخبرتها أنه تم دون موافقتها، وأنها طلبت منها الإنتظار حتى تعلم السيدة المديرة ، لكن إصراراها كان الأقوى، أخبرتني أنكما صديقتان مقربتان، وألحت على مفاجأتك، فلم أستطع إيقافها، غضبت كاميليا، ولم يعجبني تصرف رشيدة الصبياني، واستغلالها لتلك العلاقة الودية التي تجمعهما بشكل خاطئ، ودائما كانت تخشى أن تؤثر يوما ما هذه الصداقة بشكل سلبي على مردودية الشركة، وحتى تعيد الأمور لنصابها، أمرت مساعدتها بالقيام فقط بواجبها، وعدم السماح لأحد بالدخول مهما حدث، ولو تطلب الأمر استدعاء الأمن الخاص بالشركة.، وقبل أن تهم مساعدتها بالإنسحاب، طلبت منها إحضار مشروبها المفضل.

لم تتأخر المساعدة الخاصة بها بإحضارها لفنجان من القهوة البرازيلية المحبب لقلب رئيستها، أرفقته ببعض الكعك الساخن، تلك الرائحة المغرية جعلها توقف أعمالها وأخذ فترة استراحة، و في أثناء ذلك قامت بفتح ملف صور قديمة بحاسوبها الشخصي، فتوالت عليها صور كثيرة، فأوقفت إحداها بالماوس، كانت صورة تجمعها بجدتها ووالديها اللذان رحلا عن عالمها بحادث سير أليم ، آنذاك كانت في الثاسعة عشر من عمرها ، فقامت جدتها من أبيها بالعناية بها، خاصة أنها الحفيدة الوحيدة لها، و أنها أرملة تعيش وحيدة بشقة في أحد الأحياء الفقيرة، فمنحتها الحب والحنان وحاولت أن تعوضها عن كل ما تحتاجه، فكانت كل ما تحصل عليه من تقاعد زوجها العسكري البسيط ،لا يكفي إلا للمصاريف الأساسية، و كانت تحاول بين الفينة و الأخرى، إسعادها بشراء لباس جديد، فكانت السند لها، كل مر أمامها جعلها لا تعي بنفسها إلا وهي تقبل تلك الصورة ، ثم انتقلت لصورة أخرى، لتظهر أمامها صورة، اعتبرتها قبيحة جدا، لفتاة بفستان فاضح وشعر أحمر منكوش تعانقها فتاة أخرى في أحد المقاهي الخاصة، ولم تكن سوى صورة لها وهي بداية العشرينات مع نائبتها الحالية السيدة رشيدة ،.شعرت بالخزي والعار من نفسها، كانت تعكس جزء من ماضي سيء، لا تحب النبش فيه، قامت بدفنه بمجرد هجرتها للديار الأمريكية، لتعود إنسانة مختلفة، أكثر اتزانا وإلتزاما. كانت تأمل أن تكون تلك القطيعة مع ماضيها نهائية، لكن القدر شاء غير ذلك، تذكرت ذلك اليوم وهي جالسة بمكتبها تراقب عبر شاشة كبيرة كل تلك اللقاءات التي تجرى بين المترشحين و اللجنة المشرفة على اختيار الموظفين لشركتها المؤسسة حديثا، فتفاجأت أن من ضمنهم تلك الصديقة المقربة لها في الماضي، حدقت بها جيدا، فملامحها لم تتغير كثيرا، و أصبحت أكثر جمالا وأناقة رغم مسحة الحزن البادية عليها، كان حديثها مع اللجنة يتسم بالثقة كما عهدتها، تحدثت عن مسيرتها المهنية الغنية بالتجارب، و لكن عندما تم استفسارها عن وضعيتها العائلية الحالية، تغيرت ملامح وجهها المتعب، الذي

حاولت إخفاؤه بمساحيق التجميل، لتعلن أنها امراة مطلقة منذ أسبوعين و مطرودة من بيتها مع طفل صغير مصاب بالتوحد، و بحاجتها الملحة للعمل، من أجل طي صفحة الماضي وبدء حياة جديدة، تأملها من داخل هذه الشركة، كانت لكلماتها الأخيرة وقع على قلب كاميليا، فأحست بالشفقة والحزن عليها، فهي لم تعتقد أن تراها بعد مرور خمس سنوات من الفراق بهذه الوضعية الصعبة، فقررت توظيفها على الفور، وفيما بعد استقبلتها بمكتبها الخاص، فلم تتعرف الأخيرة عليها في الوهلة الأولى، فتغيرها الجديد، لا من حيث تغير مظهرها وارتدائها للحجاب، أو طريقة لباسها الفضفاض الراقي والعصري، فظلت صامتة ، حتى ابتسمت كاميليا في وجهها مكسرة ذلك الجدار الجليدي بينهما، ثم أزالت نظارتها السوداء، ثم أردفت قائلة:

- **أتمنى أن لا تكونين قد نسيت هذا الصوت و الوجه والنظرات.**

حدقت رشيدة بشكل جيد بتفاصيل وجه مضيفتها ، ثم صرخت غير مصدقة باسمها، منبهرة ومادحة التغيرالكبير، معجبة بأناقتها اللافتة، وبحجابها الذي أضفى عليها جمالا فريدا، كانت تعلم كاميليا أن مظهرها الخارجي قد تحسن شكله، لكنها لم تصدق ذلك المديح المزخرف المنبعث منها، فلطالما كانت تراها امراة جميلة وكاذبة ومجاملة، لم تمر سوى لحظات حتى استفسرتها رشيدة عن سبب اختفائها المفاجئ عن الأنظار، بدا من خلال حديثها أنها تجهل كل ما حصل معها في الماضي البعيد، لم ترغب كاميليا في فتح جراح الماضي، فاكتفت بإخبارها أنها كانت برحلة طويلة للتعافي، كانت تلك الجملة الأخيرة كافية لتجعل زائرتها تشرد قليلا، وكأنها تتذكر كل ما حدث بالأمس، ثم استفسرتها من جديد (وهل نجحت في ذلك؟)، ابتسمت كاميليا وردت : (أظن ذلك.)، فحل صمت رهيب داخل قاعة المكتب، وحتى تكسره خاطبتها كاميليا متسائلة:

- **لقد سمعت أنك أصبحت امراة ناجحة ولديك طفل جميل.**
- **ولما لا تقولين امراة فاشلة و تعيسة الحظ مع طفل مريض بالتوحد.**
- **ما بك لا تحبين صغيرك؟، إنهم أذكياء أيتها الحمقاء، ما إسمه؟ و كم عمره؟**
- **علاء الدين، وفي الشهر المقبل سيكمل الخمس سنوات.... (قالتها وهي تشير إلى صورة صغيرها على شاشة هاتفها المحمول)**
- **إنه جميل جدا، يشبهك كثيرا ...لكن أليس غريب أنه سنه يوازي سنوات غربتي؟...أكانت ثمرة حب؟ هل أعرف والده؟**

صعقت بسؤالها وردت قائلة بتوتر:

- **لا، بالطبع لا تعرفينه.**
- **ما بك متوترة؟ ألهذه الدرجة بات سؤالي مخيف؟**

بدا الإرتباك واضحا على زائرتها، وأحست أنها لا تريد أن تفصح أكثر عن حياتها الخاصة، وحتى لا تحرجها أكثر، طمئنتها بأنها ستقدم كافة المساعدة التي تريد، و مستعدة لسماعها في أي وقت تريد، لم تعهدها بهذا الشكل، فقد غير هذا الإستفسار من لون وجهها، وكأن زلزالا قد أصابها للتو.

- **لقد انتهى كل شيء بيننا، لقد خانني وعندما واجهته قام بضربي وبإهانتي ونعتني بالمرأة التي لا تنجب سوى المعاقين والمرضى، ...و مع كل هذا لازلت أحبه....(ثم انهارت بالبكاء)**
- **ياإلهي! كم هو هذا قاس ! يا له من رجل جاهل؟! أنا جد آسفة لأنني أيقظت وجعك، سوف تتعافين من هذا الحب كما تعافيت.**
- **أه، كم أتمنى ذلك يا كاميليا....هل فعلا تعافيت من الماضي؟**
- **بالطبع، فالزمن ينسيك حتى نفسك(تضحك)أليس كذلك؟**

وكما وعدت وفت، فمنحت رشيدة شيكا مكتوب عليه مبلغ كبير، من أجل مصاريف صغيرها، وبعد االإطمئنان على شركتها وأنها أصبحت بأيدي خبيرة و أمينة ، كانت من انتقتهم بشكل غير مباشر، غادرت من أرض الوطن نحو الديار الأمريكية، لإدارة مؤسستها المشتركة مع شريكها العربي، كانت تقة عمياء بموظفيها، فاكتفت بزيارات محدودة الفترات لشركتها الحديثة خلال في السنتين الأوليين، وخصصت معظم المدة لقضائها مع جدتها، وما تبقى لتوقيع الوثائق المهمة، وبعد مرور ثلاث سنوات على انطلاق مشروعها، لم يتحقق ما كانت تطمح به من جهة، ومن جهة أخرى بدأت تصلها الأخبار السيئة عن سوء سمعة زميلة الدراسة، وباتت صورها تنتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، توثق لتعافيها وعودتها لحياتها السابقة الماجنة، أو من خلال التقارير التي تصلها عنها من طرف مساعدتها الخاصة، عن تاخرها عن مواعيد العمل، رغم كل التحفيزات التي قدمتها لها، وفجأة رن هاتفها لتعود لواقعها، لتظهر لها من جديد على شاشته صورة المرأة المسنة، فأطفأت حاسوبها بسرعة وضغت على زر الإجابة، كانت نبرة صوتها قلقلة وهي تستسفسر عن سبب تأخرها، أحست كاميليا بالإحراج منها فاعتدرت لها ، وبعد إنهاء المكالمة الهاتفية، أغلقت باب رفوف مكتبها بإحكام، وسارعت بركوب سيارتها المرسيديس الجديدة، كانت الطريق المؤذية إلى منزلها الفخم بنواحي البيضاء جد ضيقة ، حاولت ما يمكنها لاختصارها، وعندما لم يبقى لها سوى بعض الأزقة التي تفصلها عنه، تفاجأت بسيارة من نوع الرنج الروفر السوداء تصطدم بها، كان الخطا من سائقها، و بسرعة أزالت نظارتها السوداء ثم خرجت من سيارتها لتطمئن عليها، تفحصتها جيدا ، لم تصبها إلا بعض الخدوش البسيطة، وقبل أن تتقدم خطوة نحو صاحب السيارة الأخرى، وجدت أمامها شاب في آواخر الثلاثينات، ساحر بلون عينيه ، وبشرته المائلة إلى السمرة، يفوقها طولا، يبدو من خلال ملابسه الرياضية، أنه لتوه قادم من الصالة الرياضية، وبالنظرة الأولى له، أحست بشيء ما يشدها إليه، وبصوت رخيم و هادئ خاطبها:

- **أنا جد آسف، يا سيدتي، ومستعد لأدفع ثمن إصلاحها أي شيء تريدينه، فأنا مستعد له ...(وعندما لاحظ شرودها أتمم قائلا:)..... سيدتي....هل تسمعينني؟**

أحست بالخجل من نفسها، فعادت لوعيها، وبسرعة أشاحت ببصرها عنه، ثم أجابت بهدوء وهي تهم بصعود سيارتها:

- **لا داعي لذلك، إنها مجرد خدوش بسيطة، أرجو فقط أن تنتبه مرة أخرى لما يدور حولك... و**

بدا من نظراته، أنه لم تعجبه نصيحتها ، فكرر خطابه مقاطعا إياها بنبرة آلية:

- **كم المبلغ الذي تريدين لنتهي من.. ؟**

و بنبرة غاضبة ردت عليه مقاطعة:

- **الشيء الذي أريده منك، أن تكف عن العجرفة والتكبر، نحن لا نملك السيارات لندمر أرواح الأبرياء (ثم أدارت مقودها تاركة إياه).**

. شكرا على النصيحة الغالية.

لم تنتظر لحظة واحدة، لتتأكد إن كانت جملته الأخيرة ، أكانت استفزازية أم عن حسن نية، بل سارعت للقاء غاليتها التي لم ترها مند فترة طويلة، لكن الشيء الذي استغربته هي تلك الأحاسيس التي اجتاحتها أثناء لقائها بهذا الغريب، والتي كانت مزيجا من الغضب والرهبة والشك، مع أنها تدرك أول مرة وآخر مرة ستراه فيها.

(02)

وصلت كاميليا لمنزلها الفخم ، وركنت السيارة بالقرب منه، ثم ترجلت باتجاه بابه، فظهر لها خيال رجل مسن، ما أن رآها حتى ابتسم وسارع بالترحيب بها، فعانقته عناقا حارا، فهو ليس بالغريب عنها، فالرجل الستيني هو صديق قديم لوالدها، لكن الزمن جار عليه ، وبعد أن كان ميسورا، ومن دون سابق إندار وجد نفسه مفلسا بسبب الديون المتراكمة عليه، فعرضت مملتكاته في مزاد علني، وتخلى عنه ابنه الوحيد، رافضا استقباله هو وزوجته في منزلهما، لم تنسى كاميليا أفضاله عليها ،فالرجل ساعدهما ماديا و معنويا بعد رحيل والديها، و عد تحسن أحوالها المادية، وحصولها على نصيبا من ميراث والدتها، استقبلته وزوجته ، واعتبرتهما جزءا من عائلتها، وبعد هجرتها لأمريكا، وتحقيقها النجاح المهني هناك، بنت منزلا فخما بنواحي الدار البيضاء، انتقلت هي وجدتها للعيش فيه، فكانا المؤنسان لجدتها، بعد عودتها لبلاد المهجر، حاول حمل حقيبتها ، و بديبلوماسية رفضت ، ثم ضحكت وأردفت قائلة:

- **إنها ليست تقيلة يا عم ابراهيم، إنها مجرد فساتين صيفية...**
- **أتعنين أنك سوف ترحلين قريبا عنا يا بنيتي.**
- **سوف أرى حفاوة الضيافة، ثم أقرر بعدها ا(بتسمت وردت بنبرة مازحة).**
- **لقد افتقدنا لصوت ضحكاتنا يا بنيتي.**

وفي تلك الأثناء ظهرت أمامهما سيدة بيضاء البشرة ، متوسطة الطول، ممتلئة الجسم، تبدو من التجاعيد المرسومة على وجهها الدائري الجميل أنها في أواسط الخمسينات، لم تكن سوى السيدة ربيعة زوجة العم ابراهيم، كانت تضع نظارات طبية، ما أن تفحصت الزائرة المرافقة لزوجها بشكل جيد، حتى صرخت من السعادة باسمها، فارتمت كاميليا في أحضانها، وبشكل مفاجئ نهرها العم ابراهيم قائلا:

- **لا تصرخي يا امرأة، أنسيت أن الحاجَّة رقية متعبة في غرفتها.**

كان وقع الكلام على مسامع كاميليا كزلزال هز كيانها، وما أن استفسرتهما بقلق عن أحوال غاليتها، حتى تغيرت تراسيم وجههما، وبدا وكأن الخرس قد أصابهما، فألحت عليهما باكية، وحلفتهما بأحب ما لديهما، وبعد تردد طويل، أخبرها العم إبراهيم بنبرة حزينة بكلمة واحدة (إنه المرض اللعين.....تمكن من حبيبتنا...).

لم تنتظر كاميليا لسماع تتمة باقي الكلام، بل انطلقت راكضة باتجاه غرفة محبوبتها، لتجد أمامها امرآة ضعيفة البنية، منهكة الجسد، شاحبة الوجه، مستلقية كالجثة على سرير واسع عنها، ما أن رآتها الأخيرة

حتى انفرجت أسارير وجهها الباهت، ونطقت باسمها بوهن شديد، حاولت النهوض من سريرها لكن جسدها الهزيل خانها، فأسرعت إليها تقبلها و تعانقها بشدة، ثم جلست لجوارها، ومن شدة رهبة المشهد أمامها تسللت من عيني كاميليا دمعتان، فقامت محبوبتها بمسحتهما بيدها الواهنة، ثم قبلت يديه وأردفت مخاطبة إياها:

- **لا أريد أن أراك تدرفين الدموع مرة أخرى، فدموعك غالية على قلبي.**
- **لماذا لم تخبريني يا حبيبتي أنك متعبة هكذا؟...لما تأخرت عنك لحظة واحدة.**
- **لست متعبة يا طفلتي، لقد أصبحت عجوزا شمطاء متهالكة...القبر يناديها...**
- **سوف تصبحين بخير يا حبيبتي. .... سوف تشفين و أجرى لك عملية تجميل و تختفي هذه التجاعيد ...(لم تستطيع كاميليا إتمام حديثها ثم انهارت من جديد باكية)**

فقامت الأخيرة بتقبيل يديها مرة أخرى ثم أردفت قائلة:

- **أنا بخير يا طفلتي، صدقيني، أرجوك، لا تبكي يا كاميليا.... كاميليا.. ، لماذا هذان العجوزان أخبراك؟، لقد أخدت عهدا عليهما.....ابنتي ...أريدك قوية ...فقط من أجلي...أرجوك... دموعك تعدبني...**

حاولت كاميليا تمالك نفسها ثم جففت دموعها وردت عليها قائلة:

- **سوف تشفين يا حبيبتي، سوف أعالجك عند أحسن الاطباء.**
- **أرجوك، أنصتي لي يا بنيتي، هذا ابتلاء من الله، ولا اعتراض على حكمه، أتدرين الشيء الذي أتمناه؟**
- **ماهو يا حبيتي ؟**
- **أريد أن أرك سعيدة جدا، أراك تعيشين مع حاضرك، أعلم أن الماضي مازال يسكنك، حتى لو حاولت إخفاء ذلك عن الجميع لن تستطيعي إخفاؤه عني، ما أتمناه فعلا هو شفاء هذه الروح الجريحة التي تسكنك،..لم يبقى لي إلا القليل يا زمردتي...**

لم تستطع كاميليا تحمل المشهد القاسي أمامها، حاولت الحفاظ على رباطة جأشها، لكنها في الأخير انهارت مرة أخرى أمامها باكية، فهي لاترى الحياة إلا عبر جدتها، فكيف ستعيش فيها بعدها، و كيف لها أن تتحمل انقطاع ذلك النور الذي يضيء حياتها، ومن سيرشدها إذا أضاعت طريقها من جديد، كل تساؤلات راودتها لحظتها، ورغم محاولات الجدة لإيقافها، لكنها عجزت هي الأخرى بل ووجدت نفسها تبكي معها وهما يتعانقان، ولم يوقف تلك المندبة من الدموع سوى التحاق السيدة ربيعة وبين يديها صينية عليه كأس ماء وبعض الدواء، معلنة عن ميعاد الدواء والنوم بعده.

أحست كاميليا بتثاقل قدميها وهي على السلالم المؤذية لصالة الضيوف، وآثار الصدمة لا تكاد تفارقها ، جلست على أحد الكراسي هناك، تتأمل صورة تجمعها بها ، كانت معلقة على حائطها، ليمر أمامها شريط

ذكرياتها معها ، تذكرت ديبلوماسيتها معها وحضنها الدافئ في أوج طيشها، قدرتها على زرع الثقة فيها، لم تنسى دعمها عندما تخلى عنها من ظننته سسيكون شريكا لحياتها، لم تقف عائقا أمامها عندما أخبرتها برغبتها بالهجرة بعيدا عن آلامها، كانت نعم الصديقة والمستشارة لها في كل خطوة خطتها في مشروعها الخاص، عجزت عن تقبل الأمر، لتصبح الدموع بسرعة رفيقة لها ، فهي لا يمكن أن تفقدها بكل هذه السهولة، لم تستيقظ من هذه الدوامة إلا عندما أدارت السيدة ربيعة دراعيها عليها بدفئ وقالت بنبرة حزينة:

- **ابكي يا بنيتي، فالدموع تريح القلب، لو تعلمين يوم أخبرنا الطبيب بهذا المصاب، كأنه زلزال قد أصابنا. وعندما تحس بالألم... تحاول المسكينة أن تخفيه عنا، لكننا نحس فيحترق قلبنا من أجلها.**
- **متى حصل هذا؟ ولماذا هي ؟ ولما لم تعلمونني(يا خالة سألتها بنبرة متألمة)**
- **قبل شهرين، إنها مشيئة الله، كنت أريد أن أتصل بك، لكنها اخدت عهدا علينا ان نبقى الأمر سرا بيننا نحن الثلاثة، وإلا سوف تغضب علينا و تقاطعنا للأبد**
- **ياإلهي! ألهذه الدرجة!... المسكينة حتى وهي في وهنها لا تريد أن تعذب أحدا.....أه!... لو تعلم انني أعيش فقط من أجلها...لن أتخلى عنها...**

ضمتها السيدة ربيعة إليها، وأردفت قائلة بنبرة متحسرة:

- **يبدو أن الوقت لا يرحم، فالورم مؤنث وسريع الإنتشار، انتقل في وقت قياسي جدا من الرحم لباقي أعضاء الجسم. لقد فحصها العديد من الأطباء المهرة و نفس النتيجة، هناك طبيب يزورنا كل ليلة، إنه جار لنا ، يعتني بها بشكل يومي، وقد نصحنا بعدم تعذيبها، وأن الورم قد تمكن منها.**
- **يا له من طبيب ! وهل هذا هو الحل؟، أنتركها تموت ببط؟ وهل المهدئات هي الحل؟ ولماذا لم تتم معالجتها كيميائيا؟**

في تلك اللحظة تدخل الرجل الطبب العم إبراهيم مقتحما حديثهما:

- **بلى. لقد حاولنا، لكن جدتك ضعيفة، لن تستحمل...قلبها منهك جدا، ضغظها متذبذب.... والورم قوي الإنتشار...إنه قضاء الله و حكمه يا بنيتي...**

نهضت من كرسيها وأجابت بنبرة حاسمة:

- **لن أنتظر حتى يخطفها الموت مني... هناك ألف طبيب و طبيب...كما أن الطب تقدم كثيرا في هذا التخصص..**

لاحظ العم ابراهيم وزوجته الإرهاق البادي في عينيها، فاقترح عليها بأخذ قسط من الراحة ولو لساعتين في غرفتها، ريثما تستفيظ جدتها، أطاعتهما دون تردد، حتى تستعيد صحتها النفسية، وتستطيع رد كل جميل قدمته لها محبوبتها، ولو بغرس جرعة أمل واحدة داخل جسدها الضعيف.

كان صوت ذلك الأنين الموجع القادم من الغرفة المجاورة لها، أقوى من أي إرهاق يصيب أين كان، كان صوتا مألوفا لها، نهضت من سريرها مسرعة باتجاهه، ثم اقتحمت تلك الغرفة، لتجد العم ابراهيم و معه رجلان، لم يظهر منهما لها إلا ظهرهما، يبدو أحدهما من هيئته أن طبيب والآخر مجرد زائر تعرفه، قام الطبيب يحقن جدتها بإحدى الإبر المهدئة متمنيا لها الشفاء العاجل، بينما قام الرجل الثاني بممازحتها، ومن تصرفه وردة فعل جدتها الودودة اتجاههما، فهناك علاقة جيدة بين الأطراف، ما أن أنهى الطبيب حتى اختفى الأنين، ثم شكرتهما جدتها، وبلباقة قبل الطبيب يدها ، بينما عبر الضيف الثاني عن حبهما لها متمنياني لها كل الصحة وراحة البال ، ثم أخبرها أنه سيتغيب عنها بالأيام المقبلة .

لم تتفوه كاميليا بأي كلمة و هي تسمع لتلك الأحاديث الحميمية، وما أن استدار الرجلان باتجاهها حتى صعقت، كان أحدهما، هو نفس الرجل الذي صدمها قبل ساعات قليلة، بدا أكثر رسمية بملابسه الكلاسيكية السوداء من أول لقاء جمعهما. ما أن التقى نظره بنظرها، حتى ابتسم لها، كأنه بخبرها أنه قد تعرف عليها هو الآخر، لم تنتظر الجدة لحظة لتكسر حاجز الصمت متدخلة قائلة (موجهة الحديث لحفيدتها):

- **هذان هما ملاكي الحارسان ، يا كاميليا..... هذا الدكتور كريم وشقيقه الصغير صلاح (ثم أشارت لهما)... و هذه حفيدتي كاميليا المقيمة في الولايات المتحدة الأمريكية التي سبق وحدثكما عنها.**

ابتسما لها وحياها بأدب، فبادلتهما التحية بالمثل، كانت صدفة أغرب من الخيال، فهي لم تتوقع أن المستقبل سيجمعها من جديد بهذا الرجل وفي هذا المساء، كان المعروف الذي قدماه لها هذان الغريبان، شيء لن تنساه لهما مدى الحياة ، وقبل مغادرتهما لمنزلها أردفت قائلة (موجهة الحديث للشقيق الأكبر):

- **لا أعرف كيف أشكرك يا دكتور على المعروف الذي تقدم لنا.**
- **هذا واجب يا آنسة كاميليا، نحن عائلة واحدة .**
- **بالطبع يا دكتور، ولهذا أود أن أستشيرك بأمر يخص جدتي.**
- **بكل سرور، أنا رهن إشارتك.**
- **أريد أن أعالج جدتي لفي الديار الأمريكية....أنت تعلم أن الطب...**

صمت الطبيب و تدخل الشقيق الأصغر مقاطعا إياها بنبرة صارمة:

- **الطب أيضا متقدم في بلدنا، ولمعلوماتك فشقيقي هو من خريج الجامعات الأمريكية في تخصصه، فأرجوك..إن كنت فعلا تحبينها... فلا تعذبيها..**
- **بالطبع أحبها وبشدة ، لهذا فأنا أبحث لها عن فرصة جديدة في هذه الحياة.**

بدا من التعابير المرسومة على وجه الطبيب مدى تفهمه، فأردف قائلا بنبرة رصينة:

- بالطبع، هذا من حقك، لكن أخشى أن الوقت لم يعد يرحم ، لم أتمنى أن أخبرك بهذه الطريقة، لكن للآسف ..فجدتك تحتضر...

صدمت بالخبر فأردفت متسائلة: كيف ذلك؟ لا أصدق، بالطبع أنت تمزح يا دكتور.

- كنت أتمنى أن تكون مجرد مزحة، لكن عندما تبدا أعضاء الجسد بالموت.. عضو تلو عضو...فضميري المهني وعلاقة الصداقة بجدتك ، يحتمان علي أن أطلب منك الرأفة بها ، ريتما يقرر الله حكمه... وإذا أردت إعادة تشخيص حالتها فيمكنك أخد كل التحاليل الخاصة بها، وعرضها على الأطباء الذين تتقين بهم، وفي أي بقعة من بقاع الأرض.

قبل أن ينهي حديثه، سقطت كاميليا أرضا مغمى عليها، وعندما وعت من جديد بالحياة ، وجدت نفسها على سريرها وبجوارها الخالة ربيعة وبنظراتها علامات الخوف عليها، وأمامها نفس الرجلان، بدا هادئان بعد أن أسعافاها، شكرتهما على صنيعها، وقبل أن يرحلا، تدخل الشقيق الأصغر قائلا:

- سيدتي، جدتك تحتاجك الآن أكثر من أي وقت مضى، كوني بجانبها في لحظاتها أو أيامها الأخيرة.....

رغم كل ما جرى ليلة أمس، لم تيأس كاميليا من قدرة الله ، وما أن حل يوم جديد، حتى سارعت بإرسال ملف جدتها لأحس الأطباء في الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت التشخيصات متشابهة، كلها أكدت على أنه ورم خبيث مؤنت من الصعب إيقاف انتشاره، وأن أعضاء جسدها الهزيل تتآكل رويدا رويدا، والأسوء أنه صار في مراحله الأخيرة، بكت بشدة وهي تقرأ التقارير التي أرسلت لها عبر الفاكس الموجود في مكتبها الخاص، والمرسلة من ثلاثة أطباء ،يعتبرون الأحسن والأمهر في تخصصهم بالديار الأمريكية، أحست بالعجز والضعف، فلأول مرة تحس بأن المال لم يعد له قيمة، والموت صار يحوم بالقرب منها، الأمر صعب وقاسي، فلن تتخيل حياتها بدون هذه المرأة التي تشكل كل حياتها، أعادت قراءة آخر عبارة في أحد التقارير لأحد من هؤلاء الأطباء، الذي كتب بالحرف الواحد * هذه الحالة صار مبؤوسا منها، المرجو إسعادها في آخر مراحل حياتها، آلامها ستكون كبيرة، نرجو الرحمة لها*. من شدة الوجع و الإحساس بالفشل، انتابتها نوبة هستيرية مزقت معها كل تلك التقارير أشلاءا أشلاءا، ثم بكت بشدة، ولم تعد تعي بنفسها، حتى أحست بيد تربت على كتفيها مواسية ، فاستدارت لتجد خلفها السيدة ربيعة، تحتضنها بشدة، لم تمنعها عن البكاء، بل نصحتها بإخراج تلك الأحزان من قلبها، وبعد ان أحست ببعض التحسن، خاطبتها كاميليا قائلة:

- لم يتبقى إلا القليل لها، لا أستطيع فعل أي شيء لأجلها.... لو كنت أستطيع تدمير ذلك الوجع التي يعذبها!
- إنه أمر الله، ولا مفر منه، كلنا مفارقون أحبائنا، يبقى فقط سبب الرحيل مختلف ....
- سأفعل أي شيء تطلبها مني.

- حققي امنياتها الأخيرة وأسعديها، هيا اذهبي إليها، إنها تطلب رؤيتك.

لم تدخل غرفتها، إلا بعد استئذانها، كانت مستلقية على سريرها، وعلامات المرض بادية بوضوح أكبر، الورم لم يرحم حتى شيخوختها، اقتربت منها، ثم جلست بجانبها على السرير، واخذت كفها اليمنى واضعة إياه بكفيها، فابتسمت لها الأخيرة رغم شدة الألم، وبنبرة ضعيفة و متألمة أردفت كاميليا قائلة :

- لا أريد أن أفقدك يا جدتي ، بالله عليك قاومي...قاومي...أنت قوية...لازلت أحتاجك إلى جانبي.
- عزيزتي، إنه أمر الله ، كلنا راحلون، إنه فقط فراق مؤقت، لنلتقي هناك في المكان الصائب لنا..... تمسكي بالله... حتى يكون معك دائما.....

لم تمر سوى بضعة أيام على ذلك الحديث، حتى غابت محبوبتها عن عالمها، ورحلت معها آلامها الموجعة، و أخذت معها كل شيء جميل بالحياة، وغرقت كاميليا بعدها بوحدة موحشة، وصار فجأة المنزل الفخم مظلما وكئيبا بالنسبة لها، بالرغم من وجود العم ابراهيم و زوجته ربيعة بجانبها، هذا الفراق جعلها لا تفارق غرفة فقديتها، بحثا عن السكينة والأمان الذي كانت توفرهما لها، دام ذلك لمدة شهرين كاملين، حتى تلقت زيارة مفاجأة من مساعدتها الخاصة، كانت الأخيرة مصرة على لقائها، فالأمر جلل وأي تأجيل فيه مضرة لمصالح الشركة وموظفيها، وبعد الإلحاح الشديد منها، استقبلتها كاميليا في مكتبها، وقبل جلوسها بالكرسي المقابل لها، قدمت لها سميرة ملفا كبيرا بين يديها، اطلعت على وثائقه فصدمت، كانت الديون المتراكمة على الشركة كثيرة وضخمة، فلا تسديدات البنك كان تدفع، وفوجئت بقرض ضخم تم بضمانة الشركة، كان الأمر ككابوس تعيشه بليلة واحدة، فلم تمر من أزمتها الأولى ، هاهي تجد نفسها بأزمة أخرى ، أحست بدوار خفيف من شدة الصدمة، انتبهت لها مساعدتها فقدمت لها كوبا من الماء المحلى بالعسل، شربته دفعة واحدة، وبعد أن استعادت أنفاسها و تمالكت أعصابها ، استفسرتها عن مكان السيدة رشيدة، وبنبرة يعلوها الأسف أخبرتها زائرتها، أن لا أحد يعلم عنها شيء، فلا هاتفها في الخدمة، وحتى محل سكنها غيرته، لم تعلق على كلام مساعدتها الخاصة، فالسؤال الذي طرحته كان غبيا جدا منها ، فلا يعقل أن غبيا يرتكب جريمة ويبقى في مسرحها، واللوم لا يلقى عليها، بل هي المسؤولة الرئيسية عن كل ما يقع لها، فالسذاجة من دمرتها، فهي من تلاعبت بحاضرها عند منحها الثقة العمياء للشخص غير المناسب ومن ماضيها، ذلك الماضي الذي لم يحمل لها سوى الحزن والكثير من الدموع، لتفاجأ من جديد وتطعن بخنجر الغدر من إنسانة اعتقدتها صديقة لها، لم تقدم لها إلا المعروف لها و طفله ، ليكون الجزاء صفعة قاتلة، هذا المصاب الجديد جعلها صامتة وشاردة بأفكارها، جعلها تحس بأنها ضعيفة ومنكسرة ، وهي تعلم أن الدعوات التي كانت ستحميها من كل أأشرار البشر قد رحلت مع فقيدتها، لاحظت المساعدة الخاصة بها ذلك الضياع الذي أصابها، فبدا الإحراج على وجهها وهي تخبرها أن الدائنين يريدون الإجتماع بها في أقرب

وقت، و في حالة رفضها فإنهم يهددون بإرسالها للسجن، لم تكتفي بهذا القول، بل أضافت مخبرة إياها بأن جميع العملاء قد ألغوا عقودهم مع الشركة ويريدون أموالهم.

وضعت يدها على رأسها، ثم شردت من جديد، تفكر في حل ما، لكن الرؤية كانت ضبابية بالنسبة لها، والشيء الذي أصبح يتضح جليا هي أنها على مشارف نهاية مشروع أحلامها، وحتى لو باعت كل ما تملك فلن تستطيع تسديد الديون الضخمة التي على عاتقها، وما الجدوى من اللقاء بهم وهي لا تملك تلك العصا السحرية لتحقيق مطالبهم، و تهدأ النفوس الثائرة، لكن الإصرار الشديد من مساعدتها بضرورة المواجهة، جعلها تقتنع، فطلبت منها تنظيم لقاءات لها مع أهم الدائنين في الفترة الصباحية، حتى تواجه مصيرها الجديد ولكن هذه المرة بمفردها.

(03)

حل يوم جديد، كانت تعلم أنه لا يخبأ سوى الأشياء السيئة، وانعكس ذلك بداخلها، الذي شهد تصارع عدة سيناريوات حول مصيرها الجديد، فطرحت عدة تساؤلات (أتراه سيكون نهاية حلم سعت لتحقيقه بمباركة فقيدتها الغالية؟، أم تراه حلم سيجهض قبل قطف ثماره؟) ،تلك الهالة من الطاقة السلبية التي أحاطت بها لحظتها، جعلتها لا تفكر إلا عن كيفية تكريم مشروعها في آخر مثواه، والخروج من أزمتها بأقل خسائر ممكنة، وصلت لمكتبها قبل موعدها المحدد، فوجدت سميرة في استقبالها مرحبة بعودتها، فبادلتنها التحية وعلامات الإنهاك بادية بعيناها الحزينتان، وآثار الدمار الداخلي واضحة على لون بشرتها الشاحبة ، التي أصبحت تشبه الأموات، وعلى شفاهها القاتمة اللون، وعلى لباسها الكئيب، دخلت مكتبها، فبدا لها هو أيضا باردا و مظلما، كانت مجبرة للمجيء إليه، جلست على كرسيها الذي يتوسط مكتبها الفخم، ثم بدأت تتأمل صورة تجمعها بفقيدتها على شاشة هاتفها الذكي، حتى دخلت عليها مساعدتها الخاصة مقاطعة تلك الخلوة التي تغرق فيها بين الفينة والأخرى، لتخبرها بوصول أول الدائنين، كان الدائن الأول الذي ستقبله هو الرئيس المسؤول عن البنك الذي تتعامل معه، الشيء الوحيد الذي تغير هو الشخص، فلم يشكل ذلك بالنسبة لها فارقا يذكر، لم تمر سوى الحظات، حتى دخلت من باب مكتبها ، سيدة في آواسط الثلاثينات، متوسطة القامة، ممتلئة الجسم، بيضاء البشرة،أنيقة بلباسها الرسمي الأنتوي، رحبت بها كامليا بلباقة، ثم بعدها اكتفت بالصمت بانتظار ما تحملها لها زائرتها من عروض، لاحظت الأخيرة توتر مضيفتها، فكسرت ذلك الصمت قائلة

- **كامليا، قبل أن ندخل في صلب الموضوع، أود أن أقدم خالص تعازي بوفاة فقيدتك الحاجة رقية، صحيح لم يشأ القدر أن أراها يوما، لقد سمعت أنها كانت امراة صالحة والدليل هي البدرة التي زرعتها فيك...فليرحمها الله.**

تلك النبرة والرزانة التي طغت على خطاب زائرتها، لم تكن بالغربية عن مسامعها، فدفعها ذلك الفضول والشك الذي انتباها لتفحصها بشكل دقيق، ولما تأكدت مما يدور برأسها، نادت عليها باسمها، إنها ماريا الريحاني رفيقة السكن بالديار الأمريكية، لم تتعرف عليها في البداية، فمظهرها قد تغير بشكل كبير، زاد وزنها بشكل واضح، وتغير أسلوب لباسها، من أسلوب رياضي ذكوري لأسلوب انثوي، وتغيرت حتى تسريحة شعرها، لكن بالمقابل ظلت نبرة صوتها كما هي ، ولم نظرات العينين الزرقاوين اللتين ورثتهما عن والدتها ذات الأصول ألمانية .

- **يا لها من ظروف تجمعنا، و نلتقي من جديد و هذه المرة هنا في أرض الوطن.**

- نعم، هذا صحيح، لم أنسى ذكريات الديار الأمريكية (تضحك ماريا).. كانت من أجمل أيام حياتي...و كنت أروع شريكة سكن تعرفت عليها..

كانت ماريا بالديار الأمريكية لنيل شهادة الدكتوراة في الإقتصاد، وبعد تحقيق لمبتغاها ونيلها للشهادة بميزة مشرف جدا، غادرت البلد ثم انقطعت عنها أخبارها .

- إذن، ما الذي جعل أمورك تسوء هكذا؟، لقد اطلعت على هذا الملف (تشير إليه بيدها).. وما أن رأيت اسمك لم أصدق، لقد اعتقدت أنه فقط مجرد تشابه في الأسماء (سألتها ماريا).
- وأنا أيضا تفاجأت مثلك، فآخر شيء فكرت فيه هوأن أجد نفسي متورطة في قضية كهذه؟ سأحكي لك كل شيء بالتفصيل.

حكت لها كاميليا كل ما حصل معها منذ عودتها لأرض الوطن وتأسيسها لشركة * كاميليا للتصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة*، و أخبرتها عن الوكالة اللامشروطة، التي منحتها لإحدي صديقاتها، قصد التصرف بالنيابة عنها في بعض التواقيع المهمة، نظرا لغيابها الإضطراري ، فخانت ثقتها وورطتها في مشاكل كثيرة، وأضاعت عليها الفرصة الوحيدة التي كان من الممكن أن تربطها بهذه الأرض، استمعت لها ماريا بكل تمعن، وأحست بألمها بكل كلمة نظقتها، كانت تريد مساعدتها، وتبين لها أن الأخيار لا زالوا موجودين بهذا العالم، ثم تزرع بداخلها الثقة المفقودة نحو الآخرين، فاخبرتها بإمكانية إقناع مدرائها الكبار، بتأجيل مدة تسديد الديون لمدة شهرين فقط، حتى ترتب أمورها جيدا. ثم تعود لتسديد ديونها لهم، تلك الكلمات دفت كاميليا للنهوض من كرسيها باتجاهها معانقة إياها، وشاكرة إياها على معروفها الذي لن تنساه لها.

بعثت تلك الكلمات المطمئنة من زائرتها الكثير من الأمل داخلها، فتذكرت كلمات جدتها * كوني مع الله وسيكون معك دائما* فما حصل لها للتو معجزة ربانية وفرج سريع من الخالق ليزيل بعض الهم الثقيل الكاتم على أنفاسها، أنهت زائرتها فنجان قهوتها بسرعة ثم ودعتها.

لم تمر سوى لحظات حتى وصل الدائن الثاني، فأدخلته مساعدتها لمكتبها، كان أحد الأعضاء المؤسسين لشركة *أصدقاء التصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة*، التي تعتبر من أقوى الشركات في مجالها في البلاد، ما أن دخل حتى حياها بلياقة، فالتقت نظراتهما لبرهة، ليتوقف الزمن فجأة بالنسبة لها، فالشاب الثلاثيني مألوف لها، كان بكامل أناقته كعادته، بهي الطلعة، ساحر بعينيه الخضراوين، وطوله الفارع، و بشرته المائلة للون البرونزي، كان يشبه فنانين السينما الأجنبية الكلاسيكية، لهذا وقعت في هواه دون تفكير، لم ترى أي خطأ فيه، لم تغير فيه السنوات الماضية أي شيء، بل أضفت عليه جاذبية أكثر، بدا من خلال تصرفاته أنه لم يتعرف عليها، تبسمت داخلها وتسائلت (كيف له أن يعرفها وهي لم تشكل له سوى مرحلة لا أهمية لها؟))، أخرج من محفظته بعض الملفات، ثم أردف قائلا بكل ثقة ورسمية (دون أن ينظر إليا):

- **سيدتي، لقد جئت هنا بالنيابة على كل أعضاء المؤسسين لشركة * غروب فريندس ديزاين*، لعرض حل للمشكل الذي ورطت بها أنفسكم.**

ابتسمت في داخلها، بدا له الرجل و كأن السنين لم تغيره، فمازال على تكبره و عجرفته السابقة، لم يتعرف عليها حتى، ولم يستذكر حتى اسمها، وحتى تسايره سألته بنبرة ساخرة:

- **وماهو اقتراحكم يا سيدي؟**
- **تعلمين جيدا يا سيدتي أن سمعة شركتكم أصبحت في الحضيض، لكن رغم ذلك، فنحن نقترح عليكم أن تبيعي أسهمها لتصبح ضمن مجموعة شركاتنا، و بالمقابل سوف نتازل عن القرض و المتابعة القانونية ضدكم.**

ضحكت كاميليا بسخرية ، ثم أردفت قائلة بنبرة حانقة:

- **إذن، تريدون شراء حلمي، ياله من اقتراح جميل !، لن أستغرب أن يكون اقتراحك....فهذا ليس بالأمر الغريب عنك، لم تتغير كثيرا يا سيد علاء، مازالت أسالبيك مؤذية مثلك.**

قبل أن تنهي جملتها، نظر إليها متفحصا، وبعد برهة أردف بنبرة غير مصدقة:

- **كاميليا! أهذه أنت؟**
- **ألم تعرفني؟ أو بالأحرى لماذا ستعرفني؟ لقد كنت دائما بالنسبة مجرد نزوة عابرة، كنت تلك القبيحة التي سرقت أحلامها في الماضي و جئت اليوم لتسرق أحلامها في الحاضر.**

تسمر مكانه من الدهشة، بعد تأكده من هويتها، ثم توترت أسارير وجهه، وبدا وكأنه قد عاد بذاكرته للوراء، متذكرا كلماته ووعوده لها، متذكرا مسرحية الحب المزيف التي كان يمثلها عليها بشكل يومي، كانت هي أنذاك في بداية العشرينات و هو في الثامنة والعشرون، جمعهما معهد الفنون التطبيقية الخاص، كانت آخر سنة له، بينما كانت هي في سنتها الأولى، كانت رشيدة هي الزميلة المشتركة بينهما ورابط الوصل بينهما، كانت من عرفتها به، في الوقت التي كانت كثيرا من الفتيات الجميلات يحمن حوله، كان يعمل بالموازاة مع الدراسة كصانع للمواقع الإلكترونية وعارض للأزياء لبعض المجلات الأجنبية، لتوفير مصاريف كراء الشقة الباهضة، و تسديد مصاريف المعهد الشهرية، لم تعجبه يوما، ولم يكن يفكر بتكوين أسرة معها، كانت طموحاته أكبر من ذلك، كان يأمل في أن يصبح من رجال المال والأعمال، فلم تشكل بالنسبة له إلا علاقة عابرة، ومفتاح لتحقيق أحلامه، لم ينظر لها يوما كامراة كما اعتقدت، كان دائما يحس بضعف الثقة بنفسها و بجمالها، كان يسخر من ألوان شعرها الغريبة، وطريقة لباسها، كان كل ما يهمه هو الحصول على مالها، وتأسيس شركة خاصة بالدزاين، لكن عندما علم أنها لن تتحصل على دية والديها حتى

تصل إلى سن الخامسة والعشرون من عمرها، قام بهجرها، بعد أن أوهمها بحبه ووعدها بالحياة الجميلة معه، تاركا فراغا كبيرا بداخلها، فهو أول رجل تحبه، وعند اللحظات الحاسمة فر كالجبان وراء طموحاته، تاركا إياها في جراحها، بعد ان لم يفي بوعده ويتقدم للزواج منها، تركها تنتظره، وغيررقم هاتفه، لم يفكر يوما أن السحر سينقلب على ساحره، وبعد سنة من الفراق، استطاع رسم طريق له في الحياة وانضم لشركة عملاقة، حتى أصبح أحد الأعضاء المالكين لها، ثم حاول بناء حياته الشخصيته، فكانت هي العقبة لنهاية كل علاقة قبل بدايتها، أحس بالحنين لها، وأصبح يبحث عنها في كل فتاة يواعدها، اشتاق لهدوئها وبراءتها، فتأكد بأنه أصبح أسيرا لذكرياته معها، فحاول البحث عنها، ليعتذر منها ويعيد الأمور لمجراها، لكن الآوان قد فات، عندما أراد استعادته اكتشف بأنها قد رحلت بعيدا عنه، لم يتخيل يوما وبعد عشرسنوات أن يلتقيها بهذا المكان وفي هذه الظروف، نظرات الإتهامات والغضب التي تعلو عينيها نحوه ، ألجمت لسانه عن الحديث للحظات، ثم بعدها حاول الإعتذار عن كل ما بدر منه في الماضي، وإخبارها أنه قد تغير كثيرا ، حيث أردف قائلا :

- **لقد أصبحت أكثر اتزانا والتزاما.... وهذا يرجع لك.**
- **بفضلي، يبدو أنك فعلا تغيرت(تضحك).... نفس الأسلوب..... نفس النبرة...لاشيء تغير...سوى تغير الزمن... عموما هذا ليس موضوعنا يا سيدي....اقتراحكم مرفوض....وحلمي ليس للبيع.**
- **كنت دائما أتمنى أن ألتقيك وأطلب السماح منك، أما بخصوص العرض، فاعلمي أنني لم أتمنى يوما أن أكون سببا في تحطيم أي جميل في حياتك، لكن القرار ليس بيدي، القرض كبير جدا، ويفوق رأسمال شركتك نفسها.**
- **أدري ذلك، لكنكم تعلمون أنني لست من أخذ ذلك القرض منكم، ومن باب الإنصاف منحي فرصة للتسديد، أليس كذلك؟**
- **لا مكان للعاطفة في العمل، حتى لو كنت أحبك فلن أخذل عملي، المرجو منك مراسلتنا و إخبارنا بقرارك الأخير (ثم نهض مغادرا المكان)**

غادر تاركا إياها هائمة في دوامة الذكريات، وكأنها حدثت معها بالأمس، تخلى عنها في أوج سعادتها، كانت تنتظره رفقة جدتها وصديقاتها وجاراتها، ارتدت اجمل ما لديه ليراها في أبهى طلة، وعدها بالتقدم لخطبتها، لكنه أخلف الوعد وصدقت جدتها، بعد ثلاثة سنوات من اللقاءات و كلام الحب الجميل ،اختفى الرجل وكأنه سراب، كانت فضيحة كبيرة لها، وبداية تغيير تدريجي في شخصيتها، فأصبحت أكثر تدينا والتزاما، تخلت عن تلك المظاهر التي غلفت نفسها بها من أجله، وبدأت حياة جديدة جعلت شعارها ليس هناك رجل يستحق في هذا العالم، لكن الزمن أبى إلا أن يعجل لها بلقياه، لم تفهم تلك الأحاسيس التي خالجتها، كانت مزيج من الغضب والشك بمشاعرها، صارت تخشى الوقوع من جديد في المحضور خاصة بعد أن اعتذر،

وهنا تسائلت في داخلها (أتراه اعتذارا مزيفا؟ أم تراه قد تغير فعلا؟) وأجابت نفسها (و ما شأنك بالأمر؟ فليعتذر كما يشاء، ألم نتفق أن الماضي قد ولى و رحل، و من يخون مرة يخون العهد مرات، ما بك يا كاميليا؟ ألم نتفق أن نطوي تلك الصفحة ونمزقها أشلاء ونرميها بعيدا؟ تذكري أن من يخون، لا يستحق فرصة ثانية.... وهو حتى لم يتذكرك...)، أحست لأول مرة أنها في متاهة من الحيرة ما بين الحنين للماضي والمضي قدما للمستقبل، ولم تمر إلا بعض اللحظات عن رحيله، حتى رن هاتفها، كان رقما مجهولا، فتركته يرن قليلا ، فليس من عادته إجابة الغرباء، ولما رأت إصرار المتصل (ة) ضغطت في الأخيرعلى زر الإجابة، فكان صوتا غير غريب عنها، لكنها لم تتوقعه سماعه بهذه السرعة ، خاطبها بنبرة صادقة:

- أعلم أن جراحك عميقة، لكنني بصدق أعيش في شبه جحيم مند رحيلك..

لم يخفى عليها صوته، لطالما تلاعب بها في الماضي، وكان ماهرا في أسلوب الإقناع، حاولت أن لا تضعف أمامه، فأردفت قائلة بنبرة واثقة :

- وماذا تريد مني الآن؟
- أريدك أن تغفري لي. وفرصة أخرى لأصلح ما مضى.

- أبهذه السهولة؟! أتعلم أمرا؟ لو لم تتطلب السماح مني مرتين هذا اليوم، لبقيت على يقين أنك لا تملك قلبا ولا وضميرا حيا، يمكن أن أغفر لك يوما ما، لكن الفرص لا تأتي إلا مرة واحدة في الحياة، هذا ما علمنا عالم البيزنيس. أليس كذلك؟

- لكنه عالم جاف خالي من المشاعر، و نحن لسنا أموات يا كاميليا بل أحياء نملك عواطف..قد نخطأ ونؤذي الآخرين و نتكبر لكن عندما نحب نسامح و ننسى ونبدأ حياة جديدة، لا أريد أن أسمع قرارك الآن...فكري جيدا... سأنتظرك.

كان أذكى مما توقعت، يجيد لغة الحوار ويلعب على الوتر الحساس، لطالما كان متقنا لفن وسياسة الإقناع ، لكنه لم يدري أنها تغيرت ولم تعد تلك البريئة التي كان يعرفها مند عشر سنوات مضت، كان من نبرة حديثه أنه واثق من قدرته على إذابة الجدار الجليدي بينهما، حاولت السيطرة على مشاعرها الجديدة المشوشة والمرتبكة التي خالجتها في لحظتها، لم تفهم شيئا، أهو حنين لماضي قد ولى ورحل؟ أم هل مازالت هناك ذرة من التعلق به؟ ، كان لابد لها أن تنهي الجدال العقيم الذي ولده حضوره المباغت في حياتها، وتتخذ القرار الذي تستحقه ذاتها، لكن ذلك التساؤل الذي طل يوترها، و كأن شخصا داخلها يحاول أن يغويها عن الصواب، بتلاعب بها فيسائلها(ولما لا تعطيه فرصة؟ إذا كان فعلا قد تغير) فتجيبه (لكنه ماضي قد ولى ورحل)، لكنه لا يسأم من المحاولة(ولما لا؟ ما دام هناك شيء منه لازال ينبض بداخلك) فتباغته بقوة (و ما أدراك أنه حب ؟) وكأنه لاحظ ارتباكها وترددها، فيسائلها من جديد (.ما دمت تفكرين

فيه فلابد أن هناك شيء ما...فلتمنحي ذلك القلب فرصة أخرى)، فتكون الإجابة هذه المرة حاسمة(لا أريد...لا أريده في حياتي أبدا).

مر ثلاثة أسابيع على تلك اللقاءات التي جمعتها بالدائينين، نجحت خلاله صديقتها ماريا بإقناع مدرائها بإعطائها مهلة قبل التسديد، مما خفف عنها بعض الحمل الثقيل عن عاتقيها، في حين بقيت حائرة بشأن العرض المقدم لها من طرف شركة *أصدقاء التصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة*، ولم يتجرأ أي أحد من أعضائها على الإتصال بها، كان القرار مصيريا بالنسبة لها، له معنيين لا لا ثالث لهما، فإما الرفض ومواجهة أسوء السيناريوات القادمة أو البيع و الرحيل على الأقل بماء وجهها، جلست تتراقص برجليها فوق كرسي مكتبها، تفكر في حل الإمتحان العسير الذي لا مفر منه، وفي عز دوامة تفكيرها، اقتحمت مساعدتها الخاصة بزيارة آخر ضيف توقعت أن تراه في هذا اليوم، وبالحرف الواحد نطقت اسمه (إن السيد صلاح مصباحي يريد مقابلتك)، استغربت هذه الزيارة المفاجأة، وحتى لا تتركه ينتظر طويلا، طلبت منها إدخاله، ثم رحبت به كما يليق به، فهي لن تنسى أفضاله الكثيرة على عائلتها، كان بكامل أناقته، وأكثر هيبة ووقارا من أول صدفة جمعتهما، اقترحت عليه فنجان قهوة، فرحب بذلك مسرورا، فتأكدت أن هذه الزيارة ستطول كثيرا، ارتشف رشفة واحدة ثم أردف قائلا بنبرة هادئة:

- **أعلم انها زيارة غريبة بالنسبة لك يا جارتي العزيزة.**

تفاجأت بأسلوبه الودود في الحديث، فردت عليه بنبرة مطمئنة:

- **أنت تعلم أنك من المرحب بهم دائما، لن أنسى الجميل الذي قدمتموه لجدتي**

-شكرا لك، ولهذا تجرأت وقمت بهذه الزيارة لمكتبك، وأزلت تلك الرسميات بيننا، حسنا حتى لا أطيل عليك، إن الهدف من زيارتي هو عملي بامتياز، ولا أريد أن يخلف الموضوع الذي سوف أطرحه إ أي حساسية بيننا.

استغربت من نبرة كلامه الحذرة ثم تسائلت:

- **بصراحة ، أنا.....**
- **حسنا، سأشرح لك، لقد أتيت باعتباري أحد أعضاء المالكين لشركة * أصدقاء التصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة* ..**

بنبرة متحسرة أجابته:

- **أه، لقد فهمت الآن، وجئت لهنا تريد إجابة حاسمة على عرضكم.**

- **بصراحة، انا جد محرج منك وضد الفكرة بكاملها، لكن صوتي غير كاف مقابل أصوات مؤيدة لفكرة الاستحواد على رئاسة شركتك، و تصبح أحد الفروع التابعة للشركة الأم.**
- **أتعلم أمرا، لم يعد يهمني شيء وحتى هذا الإرتباط بالأشياء والأماكن، لن أبكي أبدا على فقدانها ،فقد فقدت أغلى منها في حياتي.**
- **صحيح، أن كل شيء يعوض إلا من نحب لكن عندما نحافظ على أي أثر يذكرنا بهم ، فنحن نخلص لهم ونحافظ على عليهم، ونحقق من دون أن نعي أحلامهم الخفية عنا.**
- **كنت أتمنى ذلك فعلا، لقد حاولت لكنني عاجزة لهذا سأبيع.**
- **الفرار في كثير من الأحيان يعتبر جبنا وهزيمة في المعركة .**
- **لا أفهمك يا جاري العزيز، أعتقد ان هذا القرار سيرضيكم جميعا.**
- **تقصدين أنه سيرضيهم ، أحيانا يؤدي تمسكنا برأينا لجعل الخصوم يبحثون عن اختيارات أخرى بديلة ومرضية للجميع.. عموما هذا قرارك الخاص وسأحترمه...أرجو أن تتفضلي بزيارتنا بعد يومين لتعلني بشكل رسمي عنه، مع حضور مستشارك القانوني لإنهاء كل الإجراءات، دمت بخير يا جارتي العزيزة.**

(04)

وصلت مع مستشارها القانوني مبكرا * أصدقاء التصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة*، وجلست بقاعة الإجتماعات بكامل أناقتها، كانت متأكدة من قرارها الأخير، فلا مفر لها من الرحيل بعيدا عن هنا، بعيدا عن ذكريات اعتقدت أنها تعافت منها، وبعيدا عن وجع الفراق الذي يسكنها، ستكون رحلة للنسيان وبداية جديدة مختلفة مع أشخاص جدد، تذكرت لحظة صارحت كل من العم ابراهيم و زوجته بقرارها، فلم يتقبله العجوز واعتبره هروبا، و أصيبت زوجته بحالة من البكاء الهستيري الشديد، لكن علامات الإصرار في عينيها، جعلتهما يدركان أن الأمر محسوم ولارجوع فيه، وعدتهما بأن ستزورهما كلما أتيحت لها الفرصة لذلك أو إرسال استضافة لهما وقتما أرادا رؤيتها، لم تفهم لماذا عادت إلى هنا؟ إذا كان مصيره الأخير هو الرحيل، لكنها في الأخير اقتنعت بأنها أقدار لا يحق لها الإعتراض عليها، و دائما ما كانت تخبرها فقيدتها أن كل ما يحدث لنا في هذا الكون فيه حكمة لا يعلمها إلا الخالق.

نظرت لساعتها، فكان هذا هو الميعاد، رفعت عينيها صوب باب قاعة الإجتماعات، ليدخل منه رجلان بكامل أناقتهما بلباسهما الرسمي، كان يمثل الرجل الأول الماضي الذي تفر منه، أما الرجل الثاني فالصدف من تجمعها به، ولم تكن تفهم الدور الذي سيلعبه في حياتها، ولكنها اليوم قد أدركت كل شيء، و كانت تتوسطهما سيدة أنيقة جدا، تأملتها للحظات،فاتضح لها أنها تعرفها بالرغم من تغير لون شعرها للأحمر اللامع، كانت هي الشخصية الرئيسية في الماضي والحاضر، أصيبت بالخرس وهي تتأمل وقاحتها، جلس الجميع بأماكنهم، يرافقهم مستشارهم القانوني الذي لحق بهم فيما بعد.

-إذن، بما ان الجميع حاضرون للإجتماع، فاقترح أن نبدأ اجتماعنا. ....ما رأيك يا سيدة كاميليا؟

كان هذا الخطاب موجها من محامي شركتهم، أحست كاميليا بغبن ووجع شديد في قلبها، أحست بأنها مجرد لعبة تتقادفها الأيادي، وأن هناك شيئ غامض يدور حولها، كانت نظرات النصر مرسومة في عيني من اعتبرتها يوما صديقة وأختا، لم تفهم الشيء الذي ارتكبته في حقها حتى تطعنها بخنجر سام في ظهرها، صمتها الطويل، جعل عدوتها تتدخل قائلة بنبرة مستفزة:

- أعتقد، بما أن السيدة كاميليا موجودة بيننا ، فهذا إعلان على الموافقة المبدئية على موضوع اجتماعنا.

حاولت كاميليا تمالك أعصابها لكنها لم تستطع، فأردفت قائلة:

- إنها فعلا عملية نصب ذكية منكم، تورطونني ثم تأتون لتبتزونني، بحق الله، ماذا فعلت لكم؟

بدت علامات الحيرة على السيد صلاح، فتسائل قائلا:

- لا أفهم، عن أي عملية نصب تتحدثين يا سيدة كاميليا؟

وقبل أن ترد عليه، تدخلت رشيدة قائلة بنبرة سلطوية:

- اتهامك لنا و بشكل علني سيعرضك للمسائلة القانونية، نحن أشخاص لنا سمعتنا في السوق الوطنية والدولية، أفهمت؟

لم تشعر كاميليا بنفسها إلا وهي أمامها وتصفعها صفعة قوية وسط دهشة الحاضرين، ثم خاطبتها قائلة:

- اللعنة عليك وعلى أمثالك من البشر، لقد كنت أظنك بائسة مسكينة لكنك مجرد شيطانة ، لقد أمنتك على مالي و خنتني، ماذا فعلت لك حتى تفعلين بي كل هذا ؟ أهذا جزاء الإحسان .

ردت رشيدة بانفعال شديد:

- سوف تدفعين ثمن هذه الصفعة غاليا جدا، أكرهك جدا... أنت السبب في تدمير حياتي .
- ما أبشعك! وأنت تنفتين ذلك السم من داخلك، ما ذنبي لتؤذيني هكذا؟

- ذنبك لا يغتفر بالنسبة لي....لقد سرقت مني قلب أهم رجل في حياتي، بسببك لم يتزوجني، وبسببك أيضا تركني وحيدة مع طفل مريض.

فجأة تدخل علاء محاولا إسكاتها، لكنها لم تصمت بل أتممت قائلة:

-أخبرها يا سيد علاء، أننا كنا نخدعها في الماضي ونخطط لسرقة مالها، وأن ذلك الحب الذي أوهمتها به كان مجرد عملية نصب.

-اصمتي أيتها المجنونة.

- هيا، أخبرها الحقيقة، أن كل ما حصل معها كان خطة نسجناها معا....(تضحك) لقد كنا نحب بعضنا كثيرا، ولم يكن معنا مال كاف لنبني حياتنا معا، فاقترحت علي أن نوقع بفتاة هشة المشاعر، فاخترتها لك، أتذكر؟ والآن بكل هذه البساطة تريد التخلي عني...(تبكي)....وتتخلى عن طفلنا... (تنظر إليها بعينين حاقدتين)....كل هذا بسببك.....عندما حان موعد زواجنا صارحني بأنه اكتشف أنه صار هائما بك.

لم تستطع كاميليا تحمل وجع المشهد أمامها، ومع كل كلمة كانت تنطق بها رشيدة، كانت تعود بها ألتعس لحظاتها، وكأنها حدثت معها بالأمس القريب، كان جرحا عميقا بسبب علاقة سامة دمرت نفسيتها قبل أن تدمر قلبها، ما حصل معها في ما مضى جعلها تدخل في حالة اكتئاب حاد دام لشهور طويلة، لم تعد ترى أحدا

من حولها، لم تواسيها سوى فقيدتها الغالية، وفي أول فرصة أتيحت لها، فرت هاربة بعيدة من أحزانها، باحثة عن الشفاء لروحها، لاحظ كل من علاء وصلاح شحوب وجه كاميليا التي أصبحت فجأة مثل المومياء، فحاولا تهدئة الأوضاع، لكن رشيدة أبت التراجع، وواصلت حديثها القاسي:

- نعم، لقد أخذت كل شيء منك، ولكن بشكل قانوني يا عزيزتي، ألا تعلمين أن القانون لا يحمي المغفلين؟.

كان اعتراف رشيدة بالحقيقة كسيف قاتل أصاب قلب كاميليا، فأحست وكأن الأرض تدور بها، وقبل أن تسقط مغشيا عليها أسرع صلاح بالإلتفاف بدراعيها، ثم أخدها خارجا.

لم تعي بنفسها إلا وهي في سريرها و بجوارها جارها الطبيب، ما أن رأها حتى ابتسم لها مطمئنا، أرادت الحديث معه، لكنها عجزت عن ذلك، فأردف قائلا بنبرة مطمئنة:

-ستحتاجين لبعض الوقت حتى تعودين لحالتك الطبيعية، وسيقوم العم ابراهيم وزوجته بالإعتناء بك ، وابتداء من يوم الغد سيرافقك في علاجك أحد زملائي المتخصصين المهرة بعلم النفس.

كانت حالة الأسى والشفقة مرسومة في عيني العجوز و زوجته وهما يتأملانها، وفي تلك الأثناء، اقتحم صلاح الغرفة وحياهم ، ثم أردف مخاطبا إياها:

- أرجو أن تكون بخير يا جارتي العزيزة.

أرادت الرد عليه فعجزت عن ذلك ، فتأكدت بأنها أصبحت بكماء، بينما تغيرت ملامح وجه صلاح، ثم وجه حديثه لأخيه الطبيب:

- كيف حالها؟

- لا تقلق، إنها بخير، إنها مجرد صدمة نفسية، وبإرادتها وقوتها ستتعافى وستعود كما كانت،

كانت تلك الإرادة والقوة الداخلية التي تحدث عنهما هما الشيئان اللذان كانت تفتقدهما ولازالت، فروحها متألمة، وإرادتها مدمرة وثقتها بنفسها هشة جدا، وكل اعتقدت أنها قد نجحت بتخطي نقاط ضعفها، وجدت نفسها عاجزة أمام أول اختبار تقابله، الشيء الذي أصبحت تعيه الآن، هو أنها عاجزة على ترميم جراحها، فالجروح عميقة جدا ولها رواسب قديمة، كان تعلم أنه يحاول تهدئة نفسها العليلة، وعوض أن يعلمها بأنها في حالة اكتئاب حاد جدا، أخرس معه لسانها، اعتبرها حالة نفسية مؤقتة ستتجاورزها متى أرادت ، فهو لا يدري شيئا عن ماضيها، فالتجربة ليست بغريبة عنها، الفرق الوحيد أنه في ما مضى كانت هناك المساندة لها، ولكنها اليوم وحيدة وسط أحبة لا يعرفون الصراع المحتدم داخلها، لم تفهم أتلك الطبية الزائدة مع الناس سبب نكساتها، أم هو الغباء في تفسيرها الأشخاص المحيطين بها.، وفي ظل الجدال الدائر داخلها اقتنعت أن الماضي لن يتركها حتى تختفي عن الوجوه اختفاءا أبديا، وحتى تعجل و تنهى معاناتها، نزلت

ليلا باتجاه مطبخ منزلها، ثم أخذت سكينا صغيرا حادا، لكن قبل أن تهم بقطع شرايينها، ظهرت أمامها امراة تكاد تعرفها، لم تصدق عينيها، كانت جدتها أمامها بكامل عافيتها، بلباس أبيض جميل، وعلى وجهها نور رباني، وبيدها اليمنى المسبحة الخاصة بها، وترتسم على محياها علامات عدم الرضا عليها، أرادت كاميليا أن تحادثها، وتخبرها أن الفراق يعذبها، فتذكرت أنها أصبحت بكماء، وبشكل غير متوقع، حولت الجدة المسبحة من يدها اليمنى إلى يدها اليسرى، ثم أشارت إليها بسبابتها بأن لا تفعل وأردفت قائلة (الإنتحار ليس هو الحل يا بنتي، ويغضب الخالق، وأنا أتمنى من الله أن يكون لقاؤنا بالجنة)، أحست بقشعريرة تسري في جسدها، وفي الحال رمت السكين جانبا، ثم أسرعت بخطواتها للإرتماء في أحضانها الدافئة، عانقتها عناقا كبيرا، كان تحتاجه بشدة في هذه الأوقات الحرجة من حياتها، منحها هذا الحضن بعض السكينة الداخلية، وجعلها في عالم آخر بعيد ،حتى لم تعد تعي بما يجري حولها، لكن صوتا مألوفا أعادها لواقعها من جديد، وخاطبها قائلا:

- الحمد لله أنني لم أستطيع النوم، وجئت في الوقت المناسب، إياك أن تفعليها مرة أخرى يا ابنتي، أتريدين أن تؤذي فقيدتنا؟ عديني أن لا تفعليها مرة أخرى.

كان صوت الخالة ربيعة، وكانت هيمن تحتضنها، فاكتشفت أن كل ما عاشته مجرد تهيئات ورسائل ربانية إليها لتعود عن الفعل الذي يغضب الله تعالى قبل أن يغضب جدتها استمرت في عناقها ثم ردت قائلة:

- لن أكررها مرة أخرى يا خالة ربيعة، وسأفعل أي شيء لأحقق أمنيتي وأمنيتها ونلتقي هناك في الجنة، وأرجو أن يبقى ما حدث هذه الليلة سرا بيننا.
- حسنا، يا بنيتي.

مر ثلاثة أشهر على حادث الإنتحار، وشكلت تلك الحادثة حافزا لها للتعافي السريع، فأصبحت تمتثل بطواعية لكل أوامر الطبيب المعالج الذي كان يزورها بشكل يومي، كانت تريد أن تخرج من نكستها بأسرع ما يمكن، ففتحت له قلبها وسردت له كل ما عانته في ماضيها، وفي كل زيارة له كانت تحس بأنها أخذت جرعة من القوة والأمل للعيش من جديد، و في نفس الوقت ظل صلاح يزورها و يحاول رسم بسمة على محياها، و كلما استفسرته عن العمل يغير الموضوع بطريقة ذكية، بدأت تحس بالراحة لوجوده في حياتها، وعندما اختفى فجأة أحست بفراغ كبير، أرادت أن تتصل به، فأحست بالخجل وخشيت أن يفهمها بشكل خاطئ، استمرت صحتها في تحسن كبير، إلى أن اكتشفت وبالصدفة، أنها قادرة على الكلام، وهنا تأكدت أنها في مرحلة متقدمة من الشفاء ، لكنها اتخذت قرار بعدم إخبار أحد ما عدا الطبيب المعالج.

حل يوم جديدا، فوجدت نفسها عاجزة عن كتم الخبر عن العم ابراهيم و زوجته، ما ان نطقت أول حرف من شفاهها حتى عمت الفرحة المنزل، عجزت عن إخفاء الأمر عنهما، أرادت أن تزيل علامات الخوف و القلق

الواضحة بعينيهما، وطلبت منهما عدم إخبار أحد بالأمر، حتى تقرر ذلك بنفسها وبالوقت المناسب، انتهت من فطورها وقررت التوجه لشركتها، لم يمنعاها وهما يلاحظان القوة المنبعثة منها، كانت سميرة أول مستقبليها، فرحت كثيرا بعودتها، فطلبت منها كاميليا منها بخطاب كتابي بإخبارها بكل ما حدث في فترة غيابها، كانت سميرة خائفة بعض الشيء و مترددة، وعندما الإصرار بعيون مديرتها، اخبرتها وهي حزينة بأن نصف الموظفين قد رحلوا عندما سمعوا بالديون المتراكمة على الشركة، وبشكل غير متوقع ابتسمت كاميليا و علقت على كلامها بخطاب كتابي قائلة:

- **لاباس، أتفهم الأمر جيدا، لقد قررت العودة بعد أسبوع للديار الأمريكية لأنهي ما تبقى لي من مراحل العلاج ، لهذا أود أن أشكرك على كل خدماتك، وهذا الشيك كعربون شكرا على تفانيك من أجل الشركة.**

وبنبرة حزن شديدة استفسرتها سميرة قائلة:

أليس هناك أمل بعودة الأمور لسابق عهدها يا سيدتي؟

قدمت لها كاميليا الشيك ثم عانقتها وأجابتها بخطاب كتابي :

- **كنت أتمنى ذلك؟ لكن هذا مستحيل، لكنني أعدك والموظفين المتبقين أن أحافظ لكم على وظائفكم وبنفس رواتبكم..كل ما ستغير ....**

وقبل أن تكمل جملتها ، اقتحم صوت مألوف لهما حوارهما قائلا:

- **لقد سمعت أنك أصبحت بكماء، يا للأسف! لقد انضافت لك صفة قبيحة لصفاتك، إذن ماذا قررت أيتها البكماء؟ ألن تستسلمي وتتنازلين لنا عن الشركة؟ و ترحلي بعيدا و للأبد.**

حاولت سميرة التدخل، لكن كاميليا أشارت لها بالإنسحاب، ما أن بقيتا بمفردهما، حتى أخدت ورقة بيضاء وردت عليها بخطاب:كتابي قائلة:

- **أتعلمين؟ كنت أنوي التخلي لكم عم شركتي، لكن عندما علمت أنك واحدة من المالكين لها ، فإنني أفضل السجن على منحك مشروعي بهذه السهولة.**
- **إذن، فليكن ذلك لك أيتها البكماء.سأستمتع بذلك كثيرا.**
- **لن تؤلمني كلماتك العفنة التي ماهي إلا مرآة وانعكاس للشر الذي يسكنك...يكفي أن سحركم قد انقلب ضدكم.... هيا ارحلي ... والقانون بيننا....**
- **هناك حساب لم ينتهي بيننا (ثم قامت وبشكل سريع برفع يدها و رسم صفعة على وجه كاميليا)**

لم تشأ كاميليا رد تلك الصفعة واكتفت بالرد بالخطاب الكتابي :

- هل ارتاحت روحك الخبيئة الآن؟ هيا ، غادري قبل أن أحضر لك قوات الأمن...

بالرغم من الصفعة القوية المرسومة على وجه كاميليا، لم تنظفأ نيران الحقد والغضب من قلب رشيدة، التي رحلت وهي تتوعدها بإرسالها للحجيم أو إرسالها للمقبرة

بعد مرور أسبوع على شفائها، كانت بغرفتها تعد حقيبتها سفرها، كان قرارا لا رجعة فيه، لم يعترض هذه المرة لا العم إبراهيم ولا الخالة ربيعة، فقد رأوه حلا حتى لا تصاب بنكسة أخرى، ففي أحيان كثيرة، يعتبر تغيير الأماكن والوجوه بحد ذاته نوع من العلاج للروح، ولكن الشيء أسعدها وهي جالسة بالمقعد الأمامي لسيارتها التي يقودها العم ابراهيم، أن قلبها أصبح خال من أي مشاعر لعلاء، فأحست بالراحة والسلام الداخلي، و الشيء الذي أحزنها هو عدم تمكنها من شكر الإنسان الذي ساندها بمحنتها الأخيرة، الذي كان يحمل شعلة من الطاقة الإيجابية، حتى تعودت رؤيته وصارت تنتظره في كل يوم، لكن القدر أراد شيئا آخر، تخلت عن تلك الأنفة التي تتملكها، واتصلت بهاتفه فوجدته خارج التغطية، لقد ترك ذلك التقارب بينهما خلال أزمتها آثرا كبيرا داخلها، جعلها تقرر عدم التغيير من شخصيتها والإحتفاظ بطبيتها و نظافة قلبها، و تدرك أن هذا العالم التي تعيش فيه مازال مليئا بالأخيار، تمنت لو تخبره أنها تعافت بفضل دعمه اللامشروط، لكن غيابه المفاجئ كان هو الغالب، فاكتفت بترك خطاب كتابي له عند الخالة ربيعة. تعبر فيه عن شكرها له عن كل شيء قام به من أجلها.

وبعد ساعتين من الإنتظار برفقة العم ابراهيم بالمطار، أعلنت مضيفة الطيران على آوان الرحلة المتوجهة من الدار البيضاء لنيويورك، كانت الساعة الحادية عشر ليلا، قامت من مكانها ثم عانقت العم ابراهيم مودعة، لم يستحمل العجوز فراقها، وما أن همت بالرحيل حتى سمعت صوت محبب لقلبها يخاطبها ممازحا:

- هل ستغادرين بدون توديع جارك العزيز؟.

ابتسمت وهي تراه واقفا أمامها، بكامل وسامته بلباس رياضي، ذكرها بأول لقاء جمعهما ، كان برفقة الخالة ربيعة، تقدم منها خطوتين حتى صار بمفردهما ، بينما ظل كل من العم ابراهيم وزوجته بعيدان، ثم أكمل قائلا:

- بما أننا أصبحنا لوحدنا، لدي سؤال.... ألا يمكنك أن تلغي هذه الرحلة؟ (ثم قدم لها ورقة بيضاء وقلم حبر.

تاكدت من خلال طريقه حديثه وتصرفه أنه لا يعلم شيئا عن المستجدات بحياتها، فأخدت منه الورقة ثم صارحته بأنها لا تستطيع البقاء هنا، لأنها تحس بالوحدة وأن كل ما يجمعها بالوطن قد انتهى وأن هذه

الرحلة ستكون بمثابة بحث عن حياة جديدة، وبشكل مفاجئ لها أخرج من جيبه خاتما من الألماس ثم قدمه لها قائلا:

- **وماذا لو اقترحت عليك البقاء وبدء حياة جديدة؟، نعيش فيها معا، هل تقبلين أن تكون زوجتي؟**

تفاجأت بعرضه ثم ضحكت قليلا، فأردف قائلا: أنا جاد في طلبي، أريدك شريكة ورفيقة لي لما تبقى لي من هذه الحياة.

أسعدها عرضه، وأحست بصدق كلماته، ولتزيل كافة الشكوك نحوه، ردت عليه بخطاب كتابي :

- **وهل تقبل بامراة بكماء شريكة لحياتك؟ أليس هذا ظلم بحقك؟**

أحس من كلامه أنها هناك غير رافضة للفكرة بتاتا، فأردف بنبرة كلها حماس:

- **يسعدني ذلك، وأتمناه خصوصا مع امراة استثنائية مثلك، ولن اخفيك سرا، فرحلتي الأخيرة جعلتني أدرك مدى تعلقي بك.**

احست بسعادة كبيرة، فهذه أول مرة ينظر لها رجل بهذا الشكل، ويصفها بهذه الكلمات الرقيقة، وحتى لا تتركه حائرا، مزقت الورقة أمامه ، و أردفت قائلة:

- **وهل تقبل بالزواج بامرأة مفلسة عليها ديون كثيرة، ومهددة بالسجن.**

ابتسم ورد غير مصدقا :

- **أقبل، حتى لو أخفت عني صوتها الجميل....تزوجيني واعتبري كل ديونك منتهية.**
- **كيف ذلك؟**
- **لقد أصبحت المالك الوحيد ل * أصدقاء التصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة* بعد أن كانت عضوا مؤسس للشركة، صرت مالك الشركة.**
- **كيف حصل ذلك؟**
- **لقد كان علاء مقامرا كبيرا، مما جعله مديون بمبالغ ضخمة، وأصبحت حياته مهددة من طرف الدائينين، فعرض علي أسهمه وأسهم شريكته رشيدة، لهذا اضطررت أن أختفي عنك بعض الوقت، حتى أستطيع بيع بعض ممتلكاتي حتى أدفع لهما.**
- **المسكينة، لازالت تضحي من أجل رجل لايستحق.**
- **دعينا منهم، وأجيبني هل أنت موافقة على عرضيَ!**
- **بلى، بلى، أتمنى ذلك ...(ثم سمحت له بوضع الخاتم في أصبعها على إيقاعات زغاريد الفرح للخالة ربيعة)**

مر ثلاثة أشهر، تمكنت كاميليا خلالها من استعادة صحتها النفسية، ووفق التاريخ المتفق عليه زارها صلاح عند باب منزلها برفقة رجل مهيب، يبدو من خلال لباسه التقليدي أنه موثق عقود الزواج، فتم تنظيم حفلة عائلية بسيطة بمناسبة عقد قرانها من صلاح، وبعد انتهاء تلك المراسيم، قام زوجها بمفاجتها برحلة لقضاء بعض الأيام معا بإسبانيا، كانت كل الأمور قد أعدت بالشراكة مع العم ابراهيم وزوجته، وما كان عليها فقط سوى الموافقة و ركوب سيارتهما، فرحت كثيرا وعانقته أمام كل الحاضرين موافقة، ولم تمر سوى ساعتين من اقترابهما من الطريق المؤدي لمطار الدارالبيضاء، وفي أثناء توقف سيارتهما احتراما للعلامة الضوئية، اقتحمت خلوتهما امراة متسخة و ممزقة الثياب حاملة بين يديها صورة لرجل ممزقة ، ثم ابتسمت لهما وبنبرة هستيرية صرخت :((إنه لي، سوف أقتل أي امرأة تفكر بأخده مني.... (تنظر للصورة التي بين يديها)... أحببته، لكنه سرق مالي وفر هاربا...لكنني سأنتظره...سيعود ونعيش معا... أليس كذلك؟)، ثم انطلقت مسرعة بين السيارات المتراكمة في الشارع الرئيسي المؤذي للمطار، لم يتعرف زوجها على هويتها وعبر عن إشفاقه لحالها، في الوقت الذي لم تخفى عليها نبرة صوتها ،حتى لو تلاعبت الخدوش العديدة بتفاصيل وجهها وغيرته بشكل مرعب ، كانت المراة الغريبة هي رشيدة، أحست بالأسى لنهايتها بهذا الشكل، كانت المسكينة ضحية رجل نرجسي دمرها بالكامل، كان رجلا غير صالح لأي امرأة في أي زمان ومكان، نجت منه بقدرة إلهية، كانت إرادتها وقوتها الحافز للخروج من هذه العلاقة السامة التي جعلتها تذرف دموعا كثيرة في حياتها، في الوقت الذي نادرا ما يتمكن العديد من ضحايا هذا النوع من الرجال من المضي قدما بعد التعلق بهم ، أضاءت إشارة الضوء الأحمر فانطلقت كل السيارات المتراصة على الطريق، وانطلقت معها سيارتهما التي يقودها زوجها، ومن دون أن تعي وجدت نفسها تبتسم وهي تتأمله باكية فرحا، وتحمد الله على الهدية التي كفأها بها، وتسألت (وماذا لو لم ألتقيك؟) ، انتبه لها فابتسم ثم أوقف السيارة جانبا،و جفف دموعها وقبل رأسها واعدا إياها بحياة خالية من الدموع والأحزان.

النهاية